سيرة مـــركـــزة للفنـــان

من مواليد (بغداد) عام ١٩٥١ .
- نشر أول رسم له في عمر السادسة عشرة.
- وبعدها بعامين شارك في تأسيس أول مجلة للأطفال في العراق.
- تخرج في (معهد الفنون الجميلة) ببغداد عام ١٩٧١
.- ثم شرع بعد ذلك بعامين في العمل رساما كاريكاتوريا في الصحافة اليومية.
- حاصلٍ على شهادة البكالوريوس (أكاديمية الفنون الجميلة) قسم (السيراميك).
- أنجز العديد من الجداريات المعروفة في بلاده، في بغداد، و (البصرة).
- شارك في العديد من المعارض في الخارج، واختير في لِجان تحكيم بعض المسابقات الدولية.
- انتخب عام ١٩٩١ رئيسا للجنة الكاريكاتير العراقي.
- نشرت رسومه في الصحف العراقية والعربية واستقر اخيراً في صحيفة المدى.

كلمات مؤيد نعمة

إن مهمة رسام الكاريكاتير هي الكشف عن الممنوع ونزع استار المبهم والصراحة القاسية احيانا في قول الحقيقة او البحث عنها ويقترح الحلول او يفترضها بالايحاء والاشارة. لذلك فالكاريكاتير وليد الازمات ومروّضها وكاشف المستور منها. ولأن هذا الفن يهتم بشؤون الانسان ومشاكله الاجتماعية والسياسية والفكرية لذلك يستجيب لكل هذه المواضيع ويستمد منها أفكاراً ومواقف مختلفة ويزدهر بها.

شجاعة مؤيد نعمة وصورته التي غابت

قبل أيام قليلة من رحيل الفنان مؤيد نعمة التقينا في استراحة جريدة المدى، واستأنفنا حديثا سابقاً عن عدم التردد في نقد ما يحصل في راهننا العراقي ، وكنت قد قلت له يجب أن نتوخى الحذر ، فالفوضى التي تلف حياتنا ترعبني أحيانا ، وكان مؤيد دائماً لا يرى في ذلك اختيارا ،وانما اضطرار يمليه الضمير ، ومع ذلك قلت له فقط بعض الحذر ، واصل مؤيد كلامه واستشهد بعمود كتبته قبل مدة بعنوان : (محنة الكتابة هذه الأيام) ،إذا تحذر من هذا الموضوع ، وتتردد في تلك القضية سنتوقف تماما، وقال بالحرف الواحد : يجب ان تستمر دون خوف أو تردد ، فلا خيار في هذا الموقف ،وراح يعتب علي لتذبذبي في كتابة عمودي الاسبوعي، فقلت له أحياناً أجد في رسوماتك ما يغني عنها وهو ما يدفعني للتوقف عن الكتابة. ابتسم ابتسامته القصيرة المزوجة بجديته . وعاد لكلامه الذي عهدته منه كلما توقفت عن الاعتناء بمظهري، فالاناقة وحلاقة الوجه هي بداية حديث مستمر مع مؤيد، سرعان ما يتطور للكلام عن رسوماته وأخبار الصوفية، وما هو المشروع الذي أعمل عليه حينها ،وفي كل حوار يؤكد لي على ضرورة مواصلة تشخيص القتلة وعدم التساهل في هذه المرحلة تحديدا.

ولاعترف أنني كنت أحيانا أحسد مؤيد على شجاعته في مطاردة القتلة برسوماته وموضوعاته التي كانت تنطوي على قدرة كبيرة لتقول هؤلاء هم القتلة وهؤلاء هم الضحايا .

فالناس اعتادوا دور مؤيد في ترجمة همومهم ومشكلاتهم ومواقفهم، ويرون في ما يرسم بلسما للآلام التي تحيط بهم .ويجدون في رسوماته الصارخة متنفسا لهم ، حتى ان بعض الرسائل التي كانت تصل المدى الثقافي وجدت في اعمال مؤيد نعمة في هذا الظرف على وجه التحديد ما يوازي عمل الكثير من الساسة ، ان لم يتجاوزه، حتى ان بعض القراء ، قد يئسوا مما يكتب هذه الأيام وراحوا يتابعون ما يرسمه مؤيد ، ولا أريد هنا أن أقرأ مؤيد قراءة ضيقة قد توصف بأنها سياسية صرف، وانما أحاول أن أنقل الاطار النفسي الذي كان يوفره لي شخصيا كلما التقينا، ويدفعني نحو كتابة تضع اصبعها على الجاني، وتشير بكل وضوح للضحايا، أقول له : أنها محنة عصيبة تلف الضمائر والعقول ولا تحمد عواقب قول الحقيقة في هذه الفوضى ، فيرد بعد ان يبلل شفتيه : هذا هو دورنا ولا يمكن السكوت عن نزف الدم اليومي.

أخذت من مؤيد صورة جميلة له علقتها في القسم الثقافي إلى جنب صور أدباء ومفكرين ورسامين، وكلما دخل مؤيد القسم الثقافي توقف للحظات ضمن اطار الباب، فأقارن بين الصورة والأصل، ويقول مؤيد (هاي الصورة شوكت تشيلهه منا) . كانت صورة مؤيد التي رسمها لنفسه غاية في الوضوح، وخطوطها في غاية الدقة ، تذكرنا باستمرار بمؤيد عندما يغيب عنا لأيام، صورة مؤيد وكلماته تتطابق إلى حد بعيد، وعندما افكر الآن بموت مؤيد، استعيد كل أخلاق الرثاء لدينا، وأحاول أن استذكر وجوه الضحايا الذين وقف مؤيد إلى جنبهم وعبر عن رعبهم وخوفهم، وأتذكر في الوقت ذاته رعب القتلة من خطوطه ومضامينه ورسوماته، وافكر بتراث الموت كله ، هذا التراث القديم المتكرر الذي يتجلى في صور أصدقائنا ومبدعينا وأحبتنا، وتبقى لي شخصيا من مؤيد شجاعة نادرة يصعب درجها في مقولات السياسة، وصورة غابت عن جدار القسم الثقافي .

ربما يكون رحيل مؤيد مفجعا على المستوى الشخصي، لكنه على المستوى الابداعي والسياسي خسارة كبيرة ، فقد شغل مؤيد نعمة مكانا في هذا الظرف الاستثنائي، هذا المكان الذي غدا مواجهة حقيقية ضد القتل والموت، ودرسا ابداعيا يلخص لنا كيف يمكن لتخطيط بمساحة سنتيمترات أن يكون سلاحا مؤثرا في وجه الموت، وضميرا يعيد للفن دوره واعتباره.

قاسم محمد عباس

الحوار الاخير للراحل

مؤيد نعمة : الكاريكاتير فن المستقبل

ولد مؤيد نعمة في بغداد عام ١٩٥١, وحينما كان في السادسة عشرة من عمره نشر أول رسم له ، وشارك بعد عامين في تأسيس أول مجلة للأطفال في العراق. تخرج في معهد الفنون الجميلة في بغداد عام ١٩٧١, حصل على بكالوريوس سيراميك من أكاديميَّة الفنون الجميلة في بغداد. وشارك في العديد من المعارض داخل الوطن وخارجه. تم انتخابه عام ١٩٩١ رئيساً للجنة الكاريكاتير العراقي. يعمل في الصحافة منذ سن مبكرة ولا يزال يواصل نشاطه الآن في صحيفتيّ "المدى" و"النهضة" العراقيتين. التقيته في بغداد وهاهو الجزء الثاني والأخير من حواري معه:

حاورته: خالدة حامد

❖ *يقال إن البورتريه فن وسيط بين الكاريكاتير والفن التشكيلي، والملاحظ على رسوماتك أنها توظفه بشكل مميز، ما أهمية هذا الفن بالنسبة للكاريكاتير؟ وما علاقتك بالفنون التشكيلية الأخرى سيّما أنت تخصصت بالسيراميك؟*

- مثلما تعرفين فإن اختصاصي هو السيراميك، وهوايتي كانت الكاريكاتير، لكن الحالة أصبحت أن صار الكاريكاتير هو الاحتراف وأصبح الخزف هواية. لكنها هواية ممتعة مكملة لعملي ولشخصيتي الفنية. أما عن الكاريكاتير فهو فن تشكيلي متنوع، فأين الوساطة في هذا؟ والبورتريه الكاريكاتوري ينطوي على معالجات رائعة في رسم الوجوه قد لا يتوصل لها الرسام الاكاديمي بمعنى الاهتمام بالتعبير والايحاء والمبالغة والابتعاد عن التطابق في الخطوط وايهام المشاهد (نفسياً) بفرضية ان الصورة متطابقة مع الموديل. ولتوضيح الكلام ارجو ان نتأمل رسوم وبروتريهات الفنان (جورج البهجوري) لكي نصاب بالدهشة في كيفية تنفيذها المذهلة من خطوط والوان توحي للمشاهد بان الشخص المرسوم لابد وان يكون كما نراه في اللوحة.

كذلك الحال وبطريقة مختلفة عند الفنان عبد الرحيم ياسر الذي يتميز حقاً بتخيير ملامح الشخصية المرسومة دون المساس بحجم الحقيقة في تلك الملامح.. أليس هذا فناً تشكيلياً رائعاً؟ وهكذا اعمل على الايحاء بتطابق الشبه بين بورتريه النحت الكاريكتوري وشخصية الموديل.

❖ *تقول في إحدى المقابلات التي أجريت معك إن الكاريكاتير " شامل لكل الفنون، هو فن المستقبل " ألا ترى أن في هذه المقولة شيء من المبالغة؟*

- فن المستقبل.. هو فن التعاطي مع المشاعر.. فن التلويح بالمعاني المكبوتة... فن شامل لبقية الفنون؛ فن المبالغة التي لا يدركها التصوير والرسم الاكاديمي او الرسم الحديث (التجريدي) فن الاحساس بالموسيقى التي تنساب بين الخطوط.. فن السحر والإلهام الذي يجسده رسام الكاريكاتور بخطوط والوان قد لا تسعف القواعد الأكاديمية في تنفيذها. وبذا فهو فن شامل بتخطيطه، ألوانه، نحته، غرافيكه، موسيقاه، شعره المفعم بالأحاسيس التي تظهر على رسوم الفنان.

ولابد من الالتفات إلى مسألة مهمة، وهي أني أتحدث هنا عن فئة الكاريكاتور اللوحة والموقف وليس كاريكاتير النكتة السمجة والضحك المسطح البليد والشائع في الصحافة..

خذي مثلاً رسام الكاريكاتير الروسي (سميرنوف) والتشكيلي (ادولف بورن) صاحب الجوائز الكبرى في المهرجانات الدولية.. والفنان العراقي (عبد الرحيم ياسر) والفنان الألماني (هنري بوتنر) والفنان المصري (محيي الدين اللباد) والفنان الكوبي (رينيه ويلانويز) والفنانين السوريين (يوسف عبد مكي وعلي فرزات) والفنان الاميركي الروماني الاصل (سول شتاينبرك) والفنان الروسي (سيرجي تيونن) والفنان الفرنسي (فولون) ... وعشرات الأسماء المحلقة في سماء الكاريكاتير.

❖ *للشأن السياسي في رسوماتك الآن حضور يطغى على الجوانب الأخرى، كالاجتماعية مثلاً إذ توقفت عن زاويتي (طبق الأصل) و(نساء ورجال) اللتين تناولتهما في السبعينيات والثمانينيات، ما السبب؟*

- مما لاشك فيه أن الظروف التي مر بها بلدنا كان لها تأثير كبير على أبناء المجتمع، ومنهم رسام الكاريكاتير قطعاً، مما دفعني إلى أن أعكس المعاناة السياسية في رسوماتي. المعاناة كبيرة ولهذا شغلت حصة كبيرة من تفكيري. وكانت هناك أسباب موضوعية ومعروفة في تلك السنين لكي ارسم خلف عناوين " رجال ونساء " و " طبق الأصل ". وجاءت الأحداث الأخيرة بسقوط النظام الديكتاتوري لكي تفجر مخزوناهائلا من الأفكار المكبوتة والمؤجلة إلى حين. لذلك تجديني ارسم الان في صحيفتين يوميتين اتخذت في إحداها عنوان " طبق الأصل " ليشمل المواضيع السياسية والاجتماعية.

❖ *هل حقاً أن الكاريكاتير هو فن التحريض؟*

- نعم الكاريكاتير فن التحريض ضد الظلم والتعسف والخطأ والشاذ والسيئ ويمكن ملاحظة ذلك جلياً في اية لوحة تنتمي لفن الكاريكاتير وليس لفن التهريج.

❖ *هل علاقة هذا الفن بالحكومات سيئة دائماً؟ وهل تعرضت رسوماتك إلى المنع؟*

- علاقة الكاريكاتير بالحكومات متقاطعة غالباً وسبب ذلك يعود إلى طبيعة هذا الفن المنفلت من اية قيود حكومية او ديكتاتورية.. الكاريكاتير ينشد الخلاص من كل القيود يتمكن من ان يكون مؤثراً ومتميزاً. وفي طبيعة الحال فقد تعرضت بعض من رسومي إلى المنع في الثمانينات بسبب (المبالغة) كما ادعى سكرتير التحرير في إحدى المجلات، والتي كانت عن أسعار البيض تحديداً، إذ ذكرت أن سعر طبقة البيض في تلك الفترة وصل إلى عشرين دينارا، والحقيقة أن سكرتير التحرير قال إنها بثمانية عشر ديناراً. تصوري ! وبعد أسبوع فقط قفزت الأسعار إلى خمسة وعشرين ديناراً و مائة دينار وهكذا! كما تم تشويه إحد الكاريكاتيرات التي رسمتها وذلك بواسطة الحبر الاسود لإخفاء شخصيتين داخل الكاريكاتير يرتديان الزي العربي، وقد اخبرني المصمم بأن رئيس التحرير هو الذي طلب ذلك " لحساسية الموقف " !

❖ *تبعاً لإحصائيات لجنة حماية رساميّ الكاريكاتير في العالم التي يرأسها روبرت راسيل فإن (٤٣) رساما كاريكاتيريا في دول العالم الثالث صاروا ملاحقين بسبب رسومات لا تتقبلها بلدانهم، ولا تخفى عليك قصة اغتيال ناجي العلي، هل يدفع ذلك برسام الكاريكاتير إلى الترميز والتشفير؟ وهل سيؤدي ذلك إلى تحجيم " رسالته "؟*

- اصبح الترميز من اساسيات فكر الكاريكاتور في البلدان العربية لضرورة التحايل على مقص الرقيب أو الملاحقة الأمنية، والأمثلة على ذلك لا تعد ولا تحصى.. ففي مصر كان رسامو الكاريكاتير يتفننون في تمرير أفكارهم " المشاكسة " على مقص الرقيب لتنشر بعدها وتبدأ الجماهير بالغمز واللمز على هذا المسؤول او ذلك الوزير. وفي سورية كذلك والعراق والجزائر وبمستويات مختلفة حسب هامش الحرية الممنوح للصحافة في كل بلد.

ويستدعي ذلك فطنة رسام الكاريكاتير واجتهاده وشجاعته في ايجاد التبرير المناسب عند استجوابه من قبل السلطات الأمنية (وأنت وحظك).

وبالتأكيد يصبح " التشفير " عبئاً مضافاً على الرسام ويضعف من قدرته على ايصال كل ما يجول في مخيلته إلى المشاهد ويقلل من امكانية التوغل الاعمق في موضوعات قد تكون ملتهبة ومهمة لا يمكن للرسام تحت هذه الظروف من تناولها.

❖ *هل الغليان الذي يشهده عالمنا اليوم يسهم في سرعة إنضاج هذا الفن، بمعنى آخر هل يزدهر هذا الفن في الأزمات؟*

- إن مهمة رسام الكاريكاتير هي الكشف عن الممنوع ونزع استار المبهم والصراحة القاسية احيانا في قول الحقيقة او البحث عنها ويقترح الحلول او يفترضها بالايحاء والاشارة لذلك فالكاريكاتير وليد الازمات ومروّضها وكاشف المستور منها. ولأن هذا الفن يهتم بشؤون الانسان ومشاكله الاجتماعية والسياسية والفكرية لذلك يستجيب لكل هذه المواضيع ويستمد منها أفكاراً ومواقف مختلفة ويزدهر بها.

❖ *أيصح القول إن الكاريكاتير هو فن الفكرة أساساً وإن مقياس الرسم والمهارة يأتي بالدرجة الثانية؟*

- نعم الكاريكاتير من الفكرة ولكن الوسيلة لإيصال هذه الفكرة هي الأسلوب الفني المدهش بالتنفيذ الذي يساعد في ترسيخ الفكرة ويعزز من مصداقيتها لدى المشاهد. وأنا أعتمد الفكرة أساسا، أي أنها عندي قبل الأسلوب الفني، قبل التخطيط، قبل الخطوط. أعتمد الفكرة، وتنفيذها يبقى سهلاً. المهم أن الفكرة تصل مباشرة، أو بشكل غير مباشر، إلى المتلقي. وأتمنى في كل عمل أنجزه، أن يشاركني القارئ أو المشاهد باستنباط أفكار جديدة من الفكرة التي أطرحها أنا.

❖ الكاريكاتير فن التحريض ضد الظلم والتعسف والخطأ والشاذ والسيئ ويمكن ملاحظة ذلك جلياً في اية لوحة تنتمي لفن الكاريكاتير وليس لفن التهريج.

❖ المدرسة البغدادية في رسم الكاريكاتير مدرسة متميزة ، وهذه ليست شهادتي ، إنما شهادة الفنانين المتمكنين من فن الكاريكاتير ، وكتبوا عنها وعن تميزها ، مدرسة بغداد في فن الكاريكاتير اعتمدت على نقل الواقع ، بالأسلوب الحديث ، يعني لم تعتمد على النكتة الساذجة ، أو على الموقف الساخر المسطح ، دخلت بالعمق ، هذا يعني أضاف لنا مسؤوليات جديدة ، أن نتمكن من مسك الخيوط كلها ، (اللي) يعني تخلي رسام الكاريكاتير متمكنا من عمله.

❖ يستدعي إن أكون قريباً من أحداث بلدي ، وهذا حال كل رسامي الكاريكاتير بالعالم ، أني بتماس مباشر مع أحداث بلدي ، وأحاول أن أترجم ما أشاهده ، ما أحسه إلى رسوم أنشرها بالصحافة.

❖ اما عن رأيي بمستقبل العراق ، فانا لا انظر اليه من خلال العملية الحسابية (عند البعض) والمتمثلة في كم مقدار من الامن هنا ، ومثقال الامن هناك ، وكم تحقق من إحلامنا وكم خسرنا وكم ربحنا ، فنحن نعمل في التاريخ ، وتاريخ العراق الجديد بدأ منذ ستة الاف سنة... نعم.. اقول تاريخ العراق الجديد.. حيث يتضمن كل حالات القهر والبؤس والانتكاسات ، التي لولاها ما ولدت حالات النهوض والاشراقات التي تأتي دائماً بعد ظلام وعتمة ، ويكفي شعبنا فخراً تحمله معاناة عشرات بل مئات السنين من الويلات على مر العصور ، ثم ينهض.. ثم يكبو... ثم ينهض ليأخذ مايستحق ويعطي مايلزم للانسانية ، فمن حقنا ان نحلم ، ولكن علينا ان نسعى لتحقيق احلامنا.